مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد02 2022/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

دعوات الحداثيين لتطبيق علوم الأنثروبولوجيا في التعامل مع النصوص الدينية .

Modernists' calls for the application of anthropology in dealing with religious texts.

ديش حياة [1] *

[1]جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

dichhayet@gmail.com

بولخراص كريمة [2]

[2]جامعة أحمد بن بلة وهران 1

kboulakhras2@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/02/28 تاريخ القبول: 2021/05/02

ملخص :

يطرح هذا البحث فكرة مفادها أنّ المفكرين العرب الذين تبنوا الطرح الحداثي في مقولاته ومناهجه وحتى أهدافه ؛ دعوا في كثير من كتبهم ومن خلال البحث في دراساتهم ، إلى الانتفاع واستعمال ما تحقق في حقول الأنثربولوجيا المتعددة ، في مختلف القراءات الحداثية والتي تمكن من تفكيك النصوص حسب تسميتهم ، ومن ثمّ دراستها والتعامل معها .

إنّ الانثروبولوجيا بما تعنيه من تعامل مع الانسان في واقعه وكشف مختلف الملابسات التي تحيط به في الزمان والمكان والاجتماع البشري ؛يمكن حسبهم أن تتيح قراءة النص كما ورد ويمكنها أن تقربنا منه وتنزع عنه ما يحول دون التعامل معه بموضوعية . موظفين في ذلك مختلف فروعها وأقسامها .

طرحت هذه المداخلة هذه الفكرة و أصلت لها من نصوصهم و كتبهم و كلامهم . كما بينت نماذج لهذا التوظيف الانثربولوجي ، وأثبتت صحة الفرضيات المطروحة في الإشكالية .

الكلمات المفتاحية : القراءة الحداثية – الانثربولوجيا – النصوص الدينية – التوظيف .

* **المؤلف المرسل**: ديش حياة، **الايميل**: hayetdich@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Abstract:

This paper presents the idea that the Arab thinkers who adopted the modernist approach in its statements, methods, and even its goals; In many of their books, and through research in their studies, they called for the benefit and use of what has been achieved in the various fields of anthropology in the various modernist readings that enable the deconstruction of heritage and even texts according to their names, and then study and deal with it. Anthropology, with what it means to deal with man in his reality and to reveal the various circumstances surrounding him in time, place and societies, can be calculated to allow reading the text as stated and it can bring us closer to it and take away from it what prevents us from dealing with it objectively

key words: modernist reading - anthropology - religious texts - employment

مقدمة :

لقد ظلت نصوص القرآن الكريم وسوره وآياته محور تدبر العديد من علماء القرآن وأهل التفسير والتأويل ، و نتج عن ذلك نشوء كثير من العلوم التي اهتمت بالقرآن الكريم وتسمى كتب الدراسات القرآنية ، أو علوم القرآن ، وخُصّصت تحديدا للنظر في القضايا المرتبطة بنزوله ولغته وحروفه ومكيه ومدنيه ، ثم ما يتعلق بفهمه ، فبحثت قضايا لفظه من حيث العموم والخصوص والإطلاق والتقييد والإجمال والتبيين ، مستعينة بما وصل إليه الفكر الأصولي من علوم أصول الفقه ودلالات الألفاظ ، إلى أن وصلت إلى ما يهم إيصال القرآن و تأثيره ومقاصده من حيث قضايا الإعجاز القرآني .

ولما أدلى العلماء بذلك ، نشأت في العصر الحديث بعض الدراسات التي تبنّى أصحابها نظرات حول القرآن الكريم وعلومه وآليات فهمه . ومنهم من ثبت جِدّه واجتهاده في ذلك وسعيه في الواقع على الاجابة عن أسئلة النهضة مثل المفكر مالك بن نبي في كتابه " الظاهرة القرآنية " ومثل الشيخ محمد دراز في كتابه " نظرات جديدة في علوم القرآن ."

ومن الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم الدراسات الحداثية التي اشتغل فيها الحداثييون العرب – متأثرين بالحداثة الغربية – بما يتعلق بالقرآن الكريم من حيث :

- ثبوته وحيا من عند الله تعالى .
- ومن حيث طريقة نزوله وما يتعلق بأسباب النزول .

- ومن حيث فهمه وتعلق النظر بكيفية قراءته وتأويله بما يناسب ما يتصورونه من منطلقات تنزع القدسية عن كل مقدس ، واستعمال أدواتهم في ذلك .

ولا تُعد هذه الدراسة مناقشة أو ردا على الحداثيين في ذلك ؛ وهذ راجع لانصراف النظر إلى جزئية يناقشها هذا البحث ، وأنّ الدفاع عن القرآن الكريم تزاحمت في طرقه ركبان العلماء والدارسين ممن يكْفون هذا الأمر . بل إنّ هذا البحث لا يعدو أن يكون توصيفا أو قراءة في ما كتبه أعلام الفكر الحداثي في محور فهم القرآن الكريم و تأويله ، أو ما يسمى بالقراءة الحداثية لنصوص القرآن الكريم . ونظرا متفحصا يتتبع فيه الباحث دعوات أعلام هذا الفكر الحداثي إلى إعمال الدراسات الانثربولوجية ومخرجاتها التطبيقية في تعاملهم مع النصوص الشرعية خصوصا القرآن الكريم ، ثم بيان أهم مبررات هاته الفكرة عندهم مع توضيح الأمر بنماذج و ما يسندها من خلال ما ألفوه من أبحاث ودراسات .

و يهدف هذا البحث إلى :

1- إظهار دعوات أعلام الفكر الحداثي الاستنجاد بالأنثربولوجيا وأدواتها المعرفية في حقل القراءات الحداثية للقرآن الكريم .

2- بيان مبررات تمسكهم بتلك الدعوات و التوسل بها في عملهم البحثي .

وقد انتهج الباحث :

- المنهج التحليلي الوصفي مستعينا بأداة الاستقراء ، وذلك لتتبع كلام أعلام الفكر الحداثي الذين تبنوا الدعوات إلى توظيف المعارف الانثربولوجية في بحوثهم و دراساتهم ، التي تسلط الضوء على المفاهيم القرآنية وما يتعلق بالقرآن وعلومه ومختلف المعارف المتعلقة به . وتحليلها واستنتاج ما يمكن أن يخلص إليه هذا البحث .

هذا كله للوصول إلى حلٍ للإشكالية المطروحة :

هل دعا الفكر الحداثي العربي لتوظيف علم الأنثربولوجيا ومفاهيمه ونواتجه في قراءة النص القرآني . وخصوصا الأنثروبولوجيا الدينية ، وما هي مبررات ذلك إن وجدت هذه الدعوات ؟

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أولا : تحديد المفاهيم .

1- التعريف بالفكر الأنثروبولوجي : هو الفكر المتشبع بقيم الأنثربولوجيا ، وأدواتها المنهجية ، والبحثية بحيث اتسقت جميع تمظهرات نشاطه الفكري بآراءها ومناهج مدارسها ، ولا يمكن الحديث عن أسس هذا الفكر ومبادئه دون الحديث عن مفهوم الأنثربولوجيا .

– تعريف الأنثربولوجيا : الأنثربولوجيا مصطلح منحوت من كلمتين ، بمعنى أنه يتألف من لفظين وهما : Anthropos ، والمقصود به الإنسان ، ولفظ Logos وتعني العلم ، وبتركيبهما يكون مصطلح علم الإنسان يقصد به : العلم الذي يدرس الإنسان طبيعيا ، واجتماعيا وحضاريا . (**مراد وهبة ، 2007 م ، ص 101**)

يقول عيسى الشماس : " إن لفظة أنثروبولوجيا Anthropology كلمة انجليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكون من مقطعين : أنثروبوس **Anthropos** ومعناه الإنسان ، ولوجوس **Logos** ومعناه "علم" وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا "علم الإنسان" أي العلم الذي يدرس الإنسان ." (**عيسى الشماس ،2004،ص13**).

وقد عـــرفها شاكر سليم في قاموس الأنثربولوجيا بصورة مختصرة "إن الأنثربولوجيا هي علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا." (**حساين عويشة ، 2015 م ،ص 3**)

وعـــرّفها مصطفى تيلوين " هي علم من العلوم الإنسانية يهتم بدراسة الإنسان من حيث قيمه – قيم جمالية ، دينية، أخلاقية ،اقتصادية ، وثقافية ،واجتماعية – ومكتسباته الثقافية " (**مصطفى تيلوين،2011 م ، ص20**.)

ويمكن أن نذكر تعريفا آخر لكلود ليفي ستراوس يقول فيه :"إن الأنثروبولوجيا تهدف إلى معرفة كلية وشمولية للإنسان في علاقته بامتداداته التاريخية ومحيطه الجغرافي." (**مصطفى تيلوين ،2011،ص21-22**

ومن خلال النظر إلى ما سبق من تعريفات نجدها تشترك في كون المحور الذي تدور حوله الدراسات الأنثربولوجية هو الإنسان ودراسته من مختلف جوانبه الطبيعية ، والسلوكية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والدينية .....

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وهذا العلم و انطلاقا من كونه يدرس الأبعاد الطبيعية والاجتماعية والحضارية فقد تفرع ليشمل فرعين بارزين هما :

- الأنثربولوجيا الطبيعية : والتي يمكن أن تدخل فيها كل العلوم المادية كالفيزياء والبيولوجيا وغيرها .
- الأنثربولوجيا الثقافية : وتعني المعنوي في حياة الإنسان وما يخص نشاطه الفكري والذي يتمظهر بمظاهر السلوك كما يقول مالك بن نبي :" وفي ضوء هذا الربط تصبح الثقافة نظرية في السلوك أكثرمن أن تكون نظرية في المعرفة . وبهاذا يمكن أن يقاس الفرق الضروري بين الثقافة والتعليم " (**مالك بن نبي ، 2000م ، ص 73**)

يقول مراد وهبة :" تنقسم الأنثربولوجيا إلى ثلاثة فروع رئيسية : طبيعية وإجتماعية وثقافية . الانثربولوجيا الطبيعية وتدرس النمو الجسمي للإنسان من الناحية التطورية وتشمل على الحفريات البشرية (علم الإنسان البدائي) وعلم الأجناس البشرية ، من ناحية خصائصها الجسمية . والأنثربولوجيا الاجتماعية تدرس النظر الاجتماعية المختلفة دراسة مقارنة ، وخاصة نظم المجتمعات البدائية والمتخلفة ، أما الأنثروبولوجيا الثقافية ؛ فتهتم بدراسة عادات الشعوب المتأخرة و تقاليدها ، دراسة تاريخية ، وتشمل الأركيولوجيا ، التي تدرس ثقافات ما قبل التاريخ والثقافات البائدة . " (**مراد وهبة ، 2007 م ، ص 101**)

– تعريف الأنثروبولوجيا الدينية وعلاقتها بقراءة النص الديني :

قد يعتقد الرائي لأول وهلة أن الأنثربولوجيا الدينية تخص دراسة عوالم تنزلات الأديان وما فيها من وحي والنظر في مضامينه ، ولكنها في الأصح ترتبط بالانسان من حيث كونه متدينا وأثر التمثلات الدينية في حياته وعلاقته بالفكر الديني والاجتماعي .

كما نستطيع أن نقول بأن علاقتها بقراءة النص الديني عند كثير من علماء الغرب علاقة وثيقة إذ شكلت أدوات الانثربولوجيا ووسائلها آليات للتعرف على النص القرآني من وجهة نظرهم .

– أهداف وأدوات الفكر الأنثربولوجي :

تتفق المدارس الأنثربولوجية من حيث الأهداف العامة والتي قد تُحصر غالبا في البحث عن السياقات التي تزامنت مع تطور الإنسان للكشف عن نمط هذا التطور والعلائق والمتغيرات بين الإنسان وبيئته ، كما

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أنها وسيلة للكشف بمنهج التوسم عن ما لا يعرف ولا يعلم لكن تعكسه مرآة الأنثروبوجيا من خلال أداوت الانسان وثقافته وملبوسه وكلامه وأمثاله ولغته .

كما قد ينسب للأنثربولوجيا في طفرتها التطورية خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر أهداف خاصة قد تكون أكثر بروزا في المدرسة الفرنسية من خلال مساعدتها على احتلال الشعوب بمعرفتهم غاية المعرفة من حيث نمط الثقافة والاجتماع البشري والنزوع الغيري .

– امتددات الأنثربولوجيا في مختلف العلوم والمعارف :

لا شك أن أحسن توصيف لامتداد الأنثربولوجيا في ميادين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية وحقولها المعرفية وأنساقها الدلالية المختلفة أنّه يمكن تشبيهها بالخزان الذي يُعتمد عليه في مختلف البحوث والدراسات ، فصارت كاللون أو الطيف أو الروح التي تسري في جميع العلوم .

فهي وإن كانت علما مستقلا فإنها أداة تُفيض على العلوم والميادين ما يمكّن هذه الأخيرة من اختبار مقولاتها أو البرهنة على تجاربها أو استنتاج الجديد أو تمحيص الفرضيات ، من خلال ما تقدمه من معطيات ، وخصوصا التطبيقية منها ، حول الإنسان في مختلف جوانبه فيستفيد منها الدارسون والمفكرون في علم الاقتصاد واللغة والقانون والتأريخ والطب والبيولوجيا والدين والفلسفة وغيرها . فلا مناص — وهي مستشرية كل هذا — أن يستخدمها ويتوسل بها الحداثيون في قراءتهم لنصوص الوحي الشريف .

2- التعريف بالفكر الحداثي :

الحداثة مصطلح أثار سجالا في الفكر العربي والإسلامي المعاصر ، وكثر حوله الأخذ والرد ، وقد خلّف ردّة فعل وإشكاليات حقيقية بين المسلّمين بطروحاتها أو الناقدين لمفاهيمها ، ويكشف الباحث هنا مفهومها و بوادر انتقالها للفكر العربي ، وأهم أسسها .

– تعريف الحداثة : في اللغة تدور معانيها كما جاء عند الفيروز أبادي حول : الابتداء ، والأولية ، والإيجاد بعد العدم ، حيث قال :" حدث حدوثا وحداثة: نقيض قدم، وتضم داله إذا ذكر مع قدم. وحدثان الأمر، بالكسر: أوله وابتداؤه، كحداثته، و. من الدهر: نوبه، كحوادثه وأحداثه. والأحداث: أمطار أول السنة. ورجل حدث السن وحديثها، بين الحداثة والحدوثة: فتي. والحديث: الجديد . " (**الفيروزآبادي ، 2005 م ، ج1، ص 168**)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ونجد أن معانيها أيضا الوجود بعد العدم والانتقال من حال إلى حال والجِدة بعد البلى ، وهو ما ذكره صاحب معجم مقاييس اللغة " الحاء والدال والثاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن. يقال حدث أمر بعد أن لم يكن" (**ابن فارس ، 1979 م، ج 2 ، ص 36**)

وقد ورد استعمال اشتقاق اللفظ في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، منها الحديث الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها :" **قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد** . " (**البخاري ، 1422 هـ ، ج 3 ، ص 184**)

والمقصود به كما قال المعلق على صحيح لبخاري ، مصطفى ديب البغا :" أحدث ؛ اخترع " (**مصطفى ديب البغا ، 1422 هـ ، ج 3 ، هامش ص 184**) أي أبدع وهو مرادف لمفهوم البدعة والمحدثات

أما في الاصطلاح فترمز الحداثة عند أصحابها في شقّ مهم منها إلى نبذ القديم والثورة عليه ، والتحرر من العوائد والقفز إلى عوالم من التجديد .

وترمز في جوانب مهمة منها إلى استخدام أدوات البحث للوصول إلى ما يحقق ذلك القفز على الفكر الموروث ، والذي يصفه أصحابه بأنه يكبل حرية التفكير ويأسر العقل ويحيله إلى مقلد خاضع لما تبناه من سبق .

ومن أهم التعريفات التي يمكن أن نقدمها في هذا المقام رغم صعوبة التعريف لما شاب المصطلح من امتدادات في عقول وفكر من عرفه ، بين رافض وبين موفق وبين مسلم بها :

* التعريف الأول : عرفها الأكاديمي محمد رشيد ريان في بحث معنونٍ بالحداثة والنص القرآني ، بقوله :" محاولةُ الإنسان المعاصر رفض النمط الحضاري القائم ، والنِّظام المعرفي الموروث، واستبدال نمط جديد مُعَلْمَن ؛ صوغه حصيلة خليط من المذاهب ، والفلسفات الأوروبية المادية الحديثة به على كافّة الأصعدة الفنية والأدبية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية " (**محمد رشيد ريان ، 1997 م ، ص 12**

ونلاحظ من خلال التعريف السابق تأثر الحداثة العربية بالفكر الغربي ، فهي نتاجه ، وتقوم على فكرة رفض القديم والانقلاب عليه .

* التعريف الثاني : وقال أدونيس عند حديثه عن تعريف الحداثة :" لا أزعم أن الجواب عن هذا السؤال أمر سهل ، فالحداثة في المجتمع العربي إشكالية معقدة ،لا من حيث علاقته بالغرب وحسب ، بل

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

من حيث تاريخه الخاص أيضا ، بل يبدو لي أن الحداثة هي إشكاليته الرئيسية ." (**أدونيس ، 1980م ، ص 320**)

ويرى أدونيس والذي يعتبر أحد أقطاب الحداثة العربية ومن أكبر منظريها أن الحداثة بمفهومها الشامل ثلاثة أنواع:

- الحداثة علمية .
- حداثة التغيرات الثورية الاقتصادية ، الاجتماعية السياسية .
- الحداثة الفنية.

حيث يقول :" علميا ، تعني الحداثة إعادة النظر المستمرة في معرفة الطبيعة للسيطرة عليها ، وتعميق هذه المعرفة وتحسينها باطراد . ثوريا، تعني الحداثة نشوء حركات ونظريات وأفكار جديدة ، ومؤسسات وأنظمة جديدة ، تؤدي على زوال البنى التقليدية القديمة في المجتمع ، وقيام بنى جديدة. وتعني الحداثة فنيا ، تساؤلا جذريا يستكشف اللغة الشعرية ويستقصيها ، وافتتاح آفاق تجريبية جديدة في الممارسة الكتابية ، وابتكار طرق للتعبير تكون في مستوى هذا التساؤل .وشرط هذا كله الصدور عن نظرة شخصية فريدة للإنسان والكون." (**أدونيس ، 1980 م ، ص 321**)

* التعريف الثالث : يقول عدنان علي رضا:" لم تعد لفظة " الحداثة " في واقعنا اليوم تدل على المعنى اللغوي لها ، ولم تعد تحمل في حقيقتها طلاوة الجديد ولا سلامة الرغبة في التجديد ،إنها أصبحت رمزا لفكر جديد نجد تعريفه في كتابات دعاتها وكتبهم. "فالحداثة" لفظة تدل اليوم على مذهب فكري جديد يحمل جذوره وأصوله من الغرب ، بعيدا عن حياة المسلمين ، بعيدا عن حقيقة دينهم ، ونهج حياتهم في ظلال الإيمان ، والخشوع للخالق الرحمن." **(عدنان علي رضا النحوي ، 1989 م، ص 21–22)**

3 – مصطلح القراءة الحداثية و التأويلية .

إن مصطلح القراءة مصطلح حادث ، أطلقه الحداثيون على عملية فهم النص القرآني ، وقد يعبر عنها بالقراءة الحديثة أو القراءة الجديدة أو أحيانا القراءة المعاصرة لكن " الأقرب إلى مفهوم هذه القراءة بالنظر إلى مضامينها هو نسبتها إلى فلسفة الحداثة ، لأن عبارة القراءة الحديثة أو المعاصرة أو

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الجديدة ؛ تفيد التحديد الزمني دون الإشارة إلى أية مرجعيات فلسفية ." (**فاطمة الزهراء الناصري ، 2021**)

فالقراءة الحداثية هي تلك القراءة المرتبطة بفلسفة الحداثة القائمة على رفض كل ما هو قديم وعلى إسقاط المناهج والفلسفات الغربية على النص القرآني دون مراعاة طبيعته وخصوصيته ، وفتح الباب واسعا أمام العقل و الإجتهاد المجرد عن الدليل في التعامل معه .

وقد آثر الحداثيوون استخدام هذا المصطلح – القراءة – بدل مصطلحي التفسير والتأويل ، لأنهما في نظرهم غير كافيين للتعبير عن الدلالات اللامتناهية للنص القرآني . كما أقر عبد المجيد الشرفي ذلك في قوله :" ولئن آثرنا تجاوز مصطلحي التفسير والتأويل إلى استعمال مصطلح القراءة ، فلأن التعامل مع النص التأسيسي لا يمكن أن يطرح في نظرنا على صعيد ثنائية الظاهر والباطن ، فالنص يتضمن ويحتمل نظريا بحكم أزليته عددا لا متناهيا من المعاني ، فسمة الإطلاق فيه جعلته يستوعب قراءات ." **(عبد المجيد الشرفي وآخرون ، 1990 ، ص 94–95)**

وقوله : يستوعب قراءات . يعني أن هذا النص يحتمل معان واسعة ودلالات متنوعة ، تختلف من قارئ إلى آخر ، كما أكده علي حرب في قوله :" من هنا تختلف قراءة النص الواحد مع كل قراءة ، وبين قارئ وآخر ، بل تختلف عند القارئ نفسه ، بحسب أحواله وأطواره .ولا تختلف قراءة عن قراءة لأن ثمة قراءة مطابقة أو ملائمة وأخرى غير مطابقة أو غير ملائمة ، بل لأنه لا يمكن لأي قراءة بحسب ما نحاول تبيانه إلا أن تختلف بطبيعتها عما تقرؤه . " **(علي حرب ، 1993 م ، ص 06)**

وظهر جليا مما سبق أن القراءة الحداثية وإن كان مناطها القرآن الكريم ، غير أنها تختلف مع التفسير والتأويل في المناهج والأدوات ، وفي الأهداف التي تبتغي عند المفسرين الوصول إلى فهم الآيات و مقاصدها دون خلفية إيديولوجية .

وقد اتسمت جل القراءات الحداثية باعتمادها على التأويل ، وقد اختاروا هذا اللفظ انطلاقا من كونه يتعلق بالمعاني والمقاصد لا بالألفاظ والمباني ، فالمفكر يستطيع بعقله وسلطة نظره أن يُرجّح ما يراه مناسبا للمصلحة التي يزعم نشدانها ، وقد يكون أضعف مما يظهر من ظاهر النص واللغة ، فالتأويل منهج عقلي لا يعتمد على منطق اللغة وحده .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ثانيا: دعوات الحداثيين إلى التوسل بالأنثروبولوجيا في فهم النص القرآني .

من خلال تفحص مؤلفات مفكري الحداثة العرب ، نجد أنّ أسلوبهم في قراءة النصوص القرآنية — على حد تعبيرهم — لا يكاد يخلو من الاستعانة بمجموعة من العلوم والمعارف الغربية التي يثبتون أهميتها في إنجاح تلك القراءة وذلك النظر .

ومن بين أهم تلك العلوم والمعارف والمناهج علم الأنثربولوجيا ، فقد أكد كثير منهم وبينت نصوص جم غفير من مفكري التيار الحداثي أن لا مناص من استعمالها — أي الأنثربولوجيا- في تفكيك كثير من المفاهيم التي تتيح لنا التعامل مع النصوص القرآنية .

والناظر إلى تلك الدعوات - التي تبين المسالك والمبررات في الاعتماد عليها — يجدها مقسمة إلى قسمين كبيرين ، قسم دعا الى استعمال المعارف الأنثربولوجية وبيّن المسالك ونحت حفريات المسير . دون أن يكون له إقدام مستقل وبارز في استعمالها ، وبمعنى آخر ظلت دعواته آراء وأفكارا مهمة مبررة ودقيقة .

في حين نجد قسما آخر لم يوغل كثيرا في التنظير على حساب التطبيق بل ذهب للممارسة فأبدع — وفق نظرتهم — في بيان كيف تكون الأنثربولوجيا وسيلة لتفكيك النص القرآني وتأويله والتعامل معه . وأعطى هذا القسم نماذج للتعامل مع النصوص القرآنية وما ورد فيها من مفاهيم .

إننا نستطيع أن ننسب بثقة واطمئنان المفكر محمد أركون للقسم الأول ، وقد يكون له أسبابه في عدم ممارسة الأنثروبولوجيا في نماذج قرائية ، وتلك الأسباب قد تكون موضوعية لاهتمامه عموما بجانب التّأصيل والتّنظير في كتاباته . أو حتى مزاحمة الوظائف والأشغال فلم تُتَح له الفرصة حتى عاجله الأجل المحتوم . كما قد تكون أسبابا ذاتية نتوسم منها — بغير يقين — أن تكون تنصلا من إمكانية وجود ثغرات عند الممارسة بسبب عدم نضج الجانب النظري الذي يتمثل في استعمال الأنثربولوجيا في التفكيك التأويلي .

مهما كانت الأسباب إلا أنّ المفكر أركون يصلح أن يكون ممثلا للقسم الأول وهو ما سوف نقف عليه من خلال جزئيتين تتمثل الأولى في النصوص المثبتة لادعائه ضرورة توظيف الأنثربولوجيا في القراءة التأويلية للـنـص القرآني . وتتمثل الثانية في ما هي أهم الدعائم والأسس التي تبناها لتكون وسيلة لذلك التوظيف .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أما القسم الثاني فيمكن القول بأن المفكر نصر حامد أبو زيد قد اجتهد في توظيفها وتطبيقها على النص القرآني دون أن نجد كثير كلام للدعوة والتبرير ، ويمكن أن نحتمل احتمالا مقبولا أيضا يتمثل في أنه نزع في مؤلفاته وفكره وحياته المنزع التطبيقي العملي الذي لا يميل فيه بكثرة إلى الإطناب في النظر و الهرطقة

1- النموذج الأول : نموذج محمد أركون . إنّ المفكر الجزائري محمد أركون والذي توفي نهاية العقد الأول ، وألّـف عـديد المؤلفات ، والتي ترجمت نظرته وفكره ومنهجه – التجديدي حسبه – يذكر أنه ألح " منذ سنوات عديدة على ضرورة دراسة العلم الأنثروبولوجي وتدريسه " (**محمد أركون** ، **2005** ، **ص 6**) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني –

ومحمد أركون لم يكتف بذلك بل وصل إلى فكرة مفادها أن " الفكر الإسلامي بقي أبعد ما يكون عن ممارسة الفكر الانثربولوجي بالمعنى الواسع الذي ندعو إليه من العقل والثقافة والتفكير السائد في الغرب ." (**محمد أركون ،2005 ، ص 6**)

و ما وقف عند ذلك ، بل نسب إلى الحداثيين بكل أصنافهم إهمال الاعتماد على الأنثربولوجيا الحديثة ومعارفها المتجددة " فالحداثة الفكرية فشلت في تعميم الأنوار الحديثة والتخلي عن ذهنية التحريم أو التكفير والحروب الدينية ، وإحلال ذهنية الأنسنة المتفتحة محلها وهي ذهنية تدافع عن حقوق الإنسان وتحرير الوضع البشري من الاضطهادات والقمع والظلم والسر في ذلك أن العقل الحديث لم يتقيد بتعاليم الأنثروبولوجيا الحديثة ، وإنما اكتفى منذ القرن التاسع عشر بالغرب وحصر نفسه فيه ." (**محمد أركون ،2005 ، ص 6**)

وقد بنى المفكر محمد أركون كلامه ودعواته تلك على ثلاثة مبرات ، وعينه الوصول إلى هدف أسمى

أما المبررات فأولها :أن الاعتماد عليها " يخرج العقل من التفكير داخل السياج الدوغمائي المغلق إلى التفكير على مستوى أوسع بكثير. "

ويشرح ذلك بكون الاعتماد على آلياتها ومناهجها يعلق العقل والتفكير بمصلحة الإنسان دون قيد أو تخصيص ظرفي أو وصفي .

وأما ثاني المبررات التي يقدمها ؛أنّ تحليل الخطاب الديني الذي " يتبنى تساؤلات الأنثروبولوجيا الدينية والثقافية والاجتماعية يوصل إلى التعرف على المفهومات والتصورات وطرق التأصيل للعقائد والمعاني التي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تنبني عليها جميع الأديان المعروفة في تاريخ المجتمعات الإنسانية ." وهو ما من شأنه أن يحرر الدارسين – حسب رأيه ونظره – من النظرية اللاهوتية القائلة بوجود الدين الحق ووجود الأهواء والملل والنحل ، ما كان سببا في النظر الطائفي والحروب المتتالية المتجددة في كل زمان ومكان . حسب نظره طبعا .

وأما ثالث المبررات أن " العلم الأنثروبولوجي يعلمنا كيفية التعامل مع الثقافات الأخرى بروح منفتحة متفهمة وضرورة تفضيل المعنى على القوة أو السلطة ثم تفـــــضيل السلم على العنف والمعرفة المنيرة على الجهل المؤسس أو المؤسساتي . " (**محمد أركون ، 2005 ، ص 08**)

وأما الهدف الذي يضع عينيه عليه ويجعله ثمرة التوظيف الانثربولوجي في الدراسات الدينية هو إعادة النظر في جميع العقائد والسنن الدينية عن طريق إعادة القراءة لما قدمه الخطاب الديني عامة والخطاب النبوي الخاص بأهل الكتاب من القصص .

أما أهم الدعائم والأسس التي يتبناها المفكر محمد أركون هو النقد والتفكيك كوسيلة معرفية نظرية بحتة تمارس على جميع الثقافات البشرية المعروفة . ويتيح هذ النقد والتفكيك الممارس على كل الثقافات – حسبه – التفكير بنظرة موضوعية بعيدة عن التأويلات التاريخانية الإيديولوجية .

2- النموذج التطبيقي : ويمكن أن نمثل له بـ عبد المجيد الشرفي ، الذي اعتمد الأنثربولوجيا في تأويل بعض الآيات القرآنية ، ونذكر من هنا تأويلاته معتمدا على المنهج الأنثربولوجي .

وقد نحى عبد المجيد الشرفي المنحى التأويلي ، فقد قامت قراءته على التأويل المقاصدي الذي وصفه عبد المجيد النجار عند نقده المدرسة التأويلية " إنّ أحكام الشّريعة لم تُشرّع إلا لتحقيق مقاصدها ، فهي تقوم مقام الوسائل بالنسبة للغايات ، فأحكام الحدود لم تُشرع إلا لردع مقترفي المعاصي، ومنع الربا لم يشرع إلا لتحقيق مقصد العدالة ومنع استغلال القوي للضعيف، وهكذا الأمر في كل حكم من أحكام الشريعة ، بحيث لا تحمل هذه الأحكام قيمة في ذاتها، وإنما قيمتها في مقاصدها ،فإذا ما حقق حكم من الاحكام مقصده ،فإنه يكون قد استنفذ أغراضه ،فلا يبقى مبررا إذن لبقائه ملزما، وكذلك إذا تحقق مقصد لحكم ما من الأحكام بطريقة أخرى غير ذلك الحكم ، فإنه لا يبقى مبرر للإلزام به،وهكذا ينبغي أن تقرأ النصوص الدينية على هذا النحو من التأويل. (**عبد المجيد النجار،2006 ،ص69** .)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ويظهر البعد الأنثروبولوجي في هذا التأويل في أن الواقع الإنساني آنذاك هو الذي فرض مثل هذه التشريعات – حسب زعمه – فمثلا الحدود التي وردت في القرآن الكريم فرضتها طبيعة المجتمع الذي نزل فيه القرآن الكريم والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية ..التي كان عليها المجتمع.

فقد رأى أنّه:"لا ينبغي أن يكون تنفيد عقوبة معينة كما هو الشأن في القصاص والسرقة محسوبا على الخضوع لأوامر إلهية ،لا صلة لها بالزمان والمكان ،بل هي مما اقتضته ضرورات الاجتماع والأخلاق ، وهي أمور متغيرة وغير مستقرة تتأثر بعوامل عديدة منها الثقافي ومنها الاقتصادي والسياسي.".(**عبد المجيد الشرفي الاسلام بين الرسالة والتاريخ،ص85**)

وقد ذكر أن قطع يد السارق هو من الممارسات التي كانت معروفة قبل الاسلام ، وأنّه من الطبيعي أن تكون عقوبة السرقة شديدة في ظروف المجتمع البدوي وفي إطار الكفاف عموما ،إذ أنها قد تؤدي إلى هلاك من يسرق منه ماله ،وربما كانت هذه العقوبة الشديدة هي الوسيلة الوحيدة للمحافظة على قدر أدنى من النظام في غياب سلطة سياسية يمتد نفوذها إلى سائر أفراد المجتمع . ورأى أن العقوبات البدنية عموما من الضرب والجلد والبتر وحتى القتل ، عادية لا يرى الناس بديلا عنها لقيام أي مجتمع واستقراره ، فكان ما نص عليه القرآن منسجما تمام الانسجام مع مقتضيات الظرف ، ولكنه لا يعني غلق الباب في وجه أشكال أخرى من العقاب متى تطورات المجتمعات وبرزت فيها قيم أكثر تناغما مع هذا التطور.

إن قطع يد السارق ، مثله مثل أية عقوبة أخرى ليس مقصودا في ذاته ، ولا حرج البتة في التخلي عنه واستبداله بعقوبات أخرى تتماشى والأوضاع التي تعيشها المجتمعات الاسلامية الحديثة ، طالما يمكن تحقيق الغرض منه بوسائل أخرى.(**عبد المجيد الشرفي ، الاسلام بين الرسالة والتاريخ ص69–70**)

ونحن هنا لا نتفق معه فيما ذهب إليه بل نبين اعتماده على الأنثربولوجبا في هذه العملية التأويلية ، مسقطا ذلك على نموذج حد السرقة ، حيث اعتبر أن المجتمع آنذاك هو الذي فرض هذه العقوبة ، وهو يرمي بذلك إلى أنّ نصوص القرآن الكريم إنما تشكّلت من خلال عادات المجتمع وظروفه و ما يجري فيه من سمات ثقافية و أنسق حياتية و طبيعة بشرية .

وهو بذلك – مهما اتفق معه أو اختلف – نموذج لاستمداد القراءة الحداثية وتوسلها بالمعارف الأنثربولوجية .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

3 – الـنموذج الثالث : ويمثله من أعلام الفكر الحداثي العربي نصر حامد أبو زيد ، الذي يقرر في مجموعة من كتبه ،اعتماد دراسة الإنسان وما يحيط به من عوالم مكانية وزمانية لأجل فهم أحسن للنص القرآني ، ويتجلى ذلك في مفهومين رئيسيين عنده :

* أنسنة القرآن الكريم : بأن يكون التعامل مع القرآن الكريم خاضعا للعوالم التي يستطيع الإنسان أن يفهمها ومقتدرا أن تكون في متناوله ، وهو بذلك يدعو إلى التجرد من الخلفيات ومن كل التقديسات التي تحيط بالنصوص ، وينزع عنه الطبيعية الإلهية حسب قوله :" إن القول بإلهية النصوص والإصرار على طبيعتها الإلهية تلك ؛ يستلزم أن البشر عاجزون بمناهجهم عن فهمها ما لم تتدخل العناية الإلهية بوهب بعض البشر طاقات خاصة تمكنهم من الفهم ، وإذا كنا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية ، فإن هذا التبني لا يقوم على أساس نفعي إيديولوجي يواجه الفكر الديني السائد ، بل يقوم على أساس موضوعي يستند إلى حقائق التاريخ ، وإلى حقائق النصوص ذاتها " (**نصر حامد أبو زيد ، نقدالخطاب الديني ص 206**)

* التاريخانية : ويقصد بها عندهم في المحصلة أنّ النصوص تبقى رهينة الواقع الذي تشكلت فيه ، وهي من أهم ثوابت الحداثيين في انطلاقهم من الظروف التاريخية للإنسان — وهو عين علم الأنثربولوجيا – في قراءة النصوص الشرعية. يقول نصر حامد أبو زيد مستشهدا على تشكل النص في الواقع بأسباب النزول : " يعتبر علم أسباب النزول من أهم العلوم الدالة والكاشفة عن علاقة النص بالواقع وجدله معه ... فإن علم أسباب النزول يمكن أن يطرح لنا مفهوما مغايرا لعلاقة النص بالواقع ... إن علم أسباب النزول يزودنا من خلال الحقائق التي يطرحها علينا بمادة جديدة ، ترى النص استجابة للواقع تأييدا أو رفضا ، وتؤكد علاقة الحوار والجدل بين النص والواقع . " (**نصر حامد أبو زيد ، 2014 م ص 97**)

ونستخلص مما سبق أن أسس الفكر الحداثي في التعامل مع النصوص وإثباتها ومحاولة تفكيكها إنما تعتمد على استدعاء الظروف الزمانية والمكانية سواء كانت طبيعية مادية أو معنوية ثقافية مر بها الانسان والمجتمع . و دراسة ذلك في سبيل تلك القراءة .

ثالثا : اعتماد المفسرين على الأنثربولوجيا في تجلياتها الاجتماعية والثقافية .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وهذه الجزئية من البحث تريد أن تثبت بأن تفسير القرآن الكريم اعتمد فيه العلماء على ما وقع من تجليات تعلقت بثقافة الإنسان وعادات العرب وأنماط حياته بمختلف تمظهراتها من لغة وطقوس و أعراف .

فلا يمكن للمفكرين الحداثيين أن ينسب إليهم وحدهم الاعتماد على الأنثربولوجيا في فهم النص القرآني ، بل إن المفسرين أيضا كانوا أصحاب بأس وتميز في استعمال الأنثربولوجيا .

والفرق بينهما هو الأهداف ومآلات هذا الاستخدام وخلفياته ، فمنطلق الحداثيين أنّ الواقع حاكم على النص مؤثر في تشكله وفهمه . وأما المفسرون فينطلقون من أنّ النص حاكم لا محكوم ، واعتمادهم على الأنثربولوجيا أنّما عونٌ في الكشف عن دلالاته ومراميه .

إن اهتمام العلماء بعلم المكي والمدني وأسباب النزول لدليل على حرصهم الشديد على معرفة السياق العام وأحوال الناس والظروف التي نزلت فيها آي القرآن وذلك من أجل الوصول إلى الفهم الصحيح لمراد الله تعالى ،بل و جعلوا من شروط المفسر ؛ العلم بأسباب النزول وماعهدته العرب في لغتهم و حياتهم وبيئتهم .

فقد أكد أبو إسحاق الشاطبي أن من أهم ركائز المفسر الميل إلى ما تعرفه العرب وتدركه من تصرفات وهيئات لا بد من الرجوع إليها في فهمه ، حيث قال :"لابد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين ، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر ، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة ، وإن لم يكن ثمة عرف ، فلا يصح أن يجري فهمها على ما لا تعرفه." (**الشاطبي ،1997 ،ج2 ،ص131**)

فقد أتى القرآن الكريم وفق مقتضى عقول الناس وبما يعرفونه ويحسنون فهمه ولو جاء على غير ما اقتضاه مستوى عقولهم لـــــم تكن أدلة للعباد ولم يدخلوا تحت أحكام التكليف بمقتضاها ، ثم لكان التكليف بمقتضاها شاقا ، ولخرج الناس من ربقة التكليف ، لأن العاقل إذا أتاه ما لا يمكن تصديقه به ، لسقط عنه التكليف كما سقط عن من لا عقل له .(**الشاطبي ،2003 م ج3 ، ص 20**)

أما من جهة التطبيق فنجد نماذج كثيرة منها ما ذكره الإمام ابن القيم وهو يتحدث عن الحضانة :" والواقع شاهد بهذا والفقه تنزيل المشروع على الواقع " (**ابن القيم ، 1986م، ج 5 ، ص 472**)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

خاتمة :

ندرك بعد هذه الأشواط من البحث باستعمال المنهج التحليلي الوصفي ، وباعتماد الاستقراء والتتبع ،أن علم الأنثربولوجيا علم له من الأهمية والمكانة ما جعله يدخل في مقدمات العلوم المختلفة الأخرى ، وخصوصا العلوم والأبحاث التي ترمي الكشف عن ما يضيفه علم الانسان وما يحتف به ماديا وطبيعيا أو معنويا وثقافيا من عادات وسلوكات وأعراف و أنماط حياة ، لتلك المعارف والعلوم .

إن الطفرة التي تميزت بها الانثربولوجيا في تطورها التاريخي ، والتي تعدت كونها علما يدْرسُ الانسان وهيكله العظمي وجمجمته وطريقة عيشه وأكله إلى علم يدرس كل ما يمس حياة الانسان ومجتمعه من مكونات مادية ومعنوية لجديرة بأن تتخلل جميع العلوم والمعارف ، وتستند إليها كل البحوث والدراسات .

أثبت البحث نتيجة مهمة أن الحداثيين اعتنوا بالدرس الأنثربولوجي الذي يوصلهم إلى مقاربة النصوص وفق ما يتصورونه من حاكمية الواقع على النص ، و أثبت أن كثيرا منهم يدعون إلى مزيد الاعتناء بها في بحوثهم ودراساتهم وقراءتهم للنصوص الشرعية .

كما أثبت البحث أن علماء التفسير أيضا اعتنوا أيضا بالدرس الأنثربولوجي من خلال بحثهم في معهود العرب وعاداتهم ولغتهم وأثرها في فهم القرآن الكريم .

قائمة المصادر والمراجع :

1- ابن القيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، ط 14 ، 1986 .

2- حساين عويشة ، بنو إسرائيل في النص الديني ، القرآن الكريم أنموذجا (دراسة أنثربولسانية) رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان ، السنة الجامعية 2015 -2016 . إشراف : شايف عكاشة .

الرسائل الجامعية :

3- الشاطبي أبو إسحاق ، الموافقات في أصول الشريعة ، تح عبد الله دراز ، المكتبة التوفقية ، مصر ، د ط ، 2003 م .

4- الشاطبي أبو إسحاق ، الموافقات ، تح : مشهور بن حسن آل سلمان ، ج2 ، دار ابن عفان ، الرياض . ط1 ، 1997م .

5- عبد المجيد النجار ، القراءة الجديدة للنص الديني ، مكتبة بستان المعرفة ، جدة ، ط1 ، 2006 م .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

6- عدنان علي رضا النحوي ، الحداثة في منظور إيماني ، دار النحوي ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط3 ،1410 هـ -1989 م .

7- علي أحمد سعيد أدونيس ، فاتحة لنهايات القرن بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ،ط1،1980م .

8- علي حرب ، نقد الحقيقة ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 1993 م .

9- مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر بيروت ، ط 4 ، 2000 م

10- محمد رشيد ريان ، النص والفكر الحداثي ، رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة الأردنية سنة 1997 عمان – الأردن ، غير منشورة . إشراف : شكري أحمد خالد يوسف .

11- مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، ط 5 ، 2007 م .

12- مصطفى تيلوين ، مدخل عام في الانثربولوجيا ، دار الفرابي ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 2011 .

13- نصر حامد أبو زيد ، نقدالخطاب الديني ، سيتا للنشر القاهرة ط 2 ، 1994 ،

14- نصر حامد أبو زيد مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن ، ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 2014

المواقع الالكترونية :

15- فاطمة الزهراء الناصري ، 2021 ، صفحة الانترنت الرابطة المحمدية للعلماء ، https://www.msf-online.com .